فضل الذكر

والجماعة إلى الله

تفضيلة الشيخ حسين السيوطى

نقيب السادة الخلوتية بجرجا

بإشارة من

العارف بالله تعالى الشيخ

عبد الوهاب الشريف

شيخ الطريقة الخلوتية الدومية

نفعنا الله به .. آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيد الذاكرين وإمام المستغفرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الذكر ضرورة لكل مسلم

إن الإسلام يهتم بالكائن البشرى ككل جسمه وعقله وروحه ولا يغفل عن شئ منه فهو يعالجه بالقدر المطلوب ولا ينمى جانباً على آخر لأنه يؤمن بكيانه المادى والروحى وحياته المادية لا تنفصل عن الروحية .. فهو يأخذ بواقعه الذى هو عليه يعرف حدود طاقته وحدود مطالبه وضروراته وحاجياته ويقدر هذه وتلك ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ فلا يطغى جانب على آخر قال محمد قطب (والإسلام يعنى عناية خاصة بالروح إنها فى نظره مركز الكيان البشرى ونقطة ارتكازه أنها القاعدة التى يستند إليها فى كيانه كله والمهيمن على حياة الإنسان والموجه إلى النور ويكفى أنها صلة الإنسان بالله والخلود الأبدى والوجود الأزلى) " منهج التربية فى الإسلام " .

من أجل هذا كان فى حاجة ماسة لإدامة الذكر الذى هو سبب لتقوية الروح وإثارة الحب لله وبعث الطمأنينة إليه فى السراء والضراء وتقبل قدره بالتسليم والرضا والهدف فى النهاية واحد وهو وصل القلب بالله تعالى وهذا الوصل لا يكون ولا يتم إلا بتفريغ القلب عن كل العلائق وتطهيره من جميع العوائق وملئه بهذه الحقائق وإلا اضطر صاحبه أن يملأه من أى فلسفة أخرى قد يكون فيها هلاكه .

قال بن القيم (فى القلب خلة وفاقة لا يسدها شئ البتة إلا ذكر الله عز وجل وإذا صار شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة واللسان تبع له . فهذا هو الذكر الذى يسد الخلة ويغنى الفاقة فيكون صاحبه غنياً بلا مال عزيزاً بلا عشيرة مهيباً بلا سلطان فإذا كان غافلاً عن ذكر الله فهو بضد ذلك فقير مع كثرة جدته ذليل مع سلطانه حقير مع كثرة عشيرته)

" **الوابل الصيب ٩١** " قال تعالى﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ وقال تعالى ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين

يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ **"الزمر ٢٣"** وقال تعالى ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴾ **"الحشر١٩"** وقال تعالى ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ **"طه١٢٤"** والضنك هو الشدة والبلاء فى الدنيا وهذا بخلاف أهل الذكر فهم فى سعادة غامرة فى الدنيا ولهم فى الآخرة أفضل الثواب فى دار النعيم وقال **بعض العارفين** : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف وقال آخر : مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها قيل وما أطيب ما فيها ؟ قال : محبة الله تعالى ومعرفته وذكره أو نحو هذا .. وقال آخر : إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً وقال آخر : إنه لتمر بى أوقات أقول إن كان أهل الجنة فى مثل هذا إنهم لفى عيش طيب **" الوابل الصيب ٦٩ "** . قال الشافعى : صاحبت الصوفية فلم أستفد منهم سوى حرفين أحدهما قولهم : الوقت سيف فإن

قطعته وإلا قطعك وذكر الكلمة الأخرى . ونفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل **" الداء والدواء لابن القيم صـ٦٣ "** وهذا يؤكد أن القلب إذا لم يملأ بذكر الله أحاطت به الآثام من كل مكان وملأه الشيطان بكل ما فيه بعد عن الرحمن والعياذ بالله .

فضل الذكر

عن معاذ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده يوماً ثم قال : يا معاذ والله إنى لأحبك فقال له معاذ : بأبى أنت وأمى يارسول الله وأنا والله أحبك . قال : أوصيك يامعاذ لا تدعنّ فى دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .(**أبو داود والنسائى وبن خزيمة وبن حبّان فى صحيحيهما**) وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : أتحبون أيها الناس أن تجتهدوا فى الدعاء ؟ قالوا نعم يارسول الله . قال : قولوا : اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . وعن جويرية أن النبى ﷺ خرج من عندها ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة

فقال : مازلت على الحال التى فارقتك عليها ؟ قالت نعم قال النبى ﷺ لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن .. سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته **"مسلم وغيره"** وعن معاذ قال قال رسول الله ﷺ : ما عمل آدمى عملاً قط أنجى من عذاب الله من ذكر الله **(أحمد)**

وعنه قال : سألت رسول الله ﷺ أى الأعمال أحب إلى الله عز وجل ؟ قال : أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل وعن عبد الله بن بسر أن رجلاً قال : يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت فأخبرنى بشئ أتشبث به . قال :لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله **(بن ماجة وبن حبان والحاكم)** فذكر الله هو أساس الخير ومنبع الفضائل وهو يقوم مقام كثير من العبادات وعن طريقه تنصلح الأحوال وتضاعف الحسنات . **قال بن القيم** . إن ذكر الله يسهل الصعب وييسر العسير ويخفف المشاق فما ذكر الله على صعب إلا هان ولا على عسير إلا تيسر ولا مشقة إلا خفت ولا شدة إلا زالت ولا كربة إلا انفرجت

فذكر الله هو الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر والفرج بعد الغم والهم .

عن معاذ قال : قال رسول الله ﷺ : ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يارسول الله قال : ذكر الله عز وجل .

(أحمد والترمذى وبن ماجة والحاكم) وفى الحديث القدسى عن الله عز وجل أنه قال : عبدى الذى يذكرنى وهو ملاقٍ قرنه .

وهذا الحديث يبين الفرق بين الذاكر والمجاهد فإن الذاكر المجاهد أفضل من الذاكر بلا جهاد والمجاهد الغافل والذاكر بلا جهاد وأفضل من المجاهد الغافل عن الله تعالى ، فأفضل الذاكرين المجاهدون وأفضل المجاهدين الذاكرون قال تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ **"الأنفال"** والقلوب الوجلة من ذكر الله والأعين الدامعة من خشية الله والجلود المقشعرة من مهابة

الله هى التى تستفيد من الذكر وتؤتى ثمارها المرجوة قال تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴾ " الأنفال " وقال النبى ﷺ: إن ما تذكرون من جلال الله عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل يذكرن بصاحبهن أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به ؟ " أحمد "

الذكر حياة ونور للذاكر

قال تعالى﴿ أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ﴾ " الأنعام ١٢٢ " فالأول هو المؤمن استنار بالإيمان بالله والآخر هو الغافل عن ذكر الله ولهذا سأل

النبى ﷺ ربه وألح عليه وبالغ فى سؤاله أن يجعله كله نوراً .

عن بن عباس قال كان النبى ﷺ يقول فى دعائه : اللهم اجعل فى قلبى نوراً وفى بصرى نوراً وفى سمعى نوراً وعن يمينى نوراً وعن يسارى نوراً وفوقى نوراً وتحتى نوراً وأمامى نوراً وخلفى نوراً واجعل لى نوراً " رواه البخارى ومسلم وغيرهما وفى رواية للشيخين "وعن شمالى بدل وعن يسارى " . قال الطيبى : وإنما خص القلب والبصر والسمع بفى لأن القلب هو مقر الفكر فى آلاء الله تعالى والبصر مسرح آيات الله المصونة والسمع مرسى أنوار وحى الله تعالى ومحط آياته المنزلة وخص اليمين والشمال بعن إيذاناً بتجاوز الأنوار عن قلبه وسمعه وبصره إلى من عن يمينه وشماله من أتباعه " زاد المسلم جـ ٥ صـ ١٣٩ "

قال القرطبى : وهذه الأنوار التى دعا بها رسول الله ﷺ يمكن حملها على ظاهرها فيكون سأل الله تعالى أن يجعل له فى كل عضو من أعضائه نوراً يستضئ به يوم القيامة فى تلك الظلم هو ومن تبعه أو من شاء الله منهم.. وبهذا قال بن القيم حيث جعل النور حسياً ملموساً ظاهراً على الذاكر قال تعالى :

﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ﴾ " النور " وهذا هو النور الذى أودعه فى قلب عبده المؤمن من معرفته ومحبته والإيمان به وذكره وهو نوره الذى أنزله إليهم فأحياهم به وجعلهم يمشون به بين الناس وأصله فى قلوبهم ثم تقوى مادته فتتزايد حتى يظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم ، بل وثيابهم ودورهم يبصره من هو من جنسهم وسائر الخلق له منكر فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور وصار بأيمانهم يسعى بين أيديهم فى ظلمة الجسر حتى يقطعوه وهم فيه على حسب قوته وضعفه فى قلوبهم فى الدنيا فمنهم من نوره كالشمس وآخر كالنجوم وآخر كالسراج وآخر يعطى نوراً على إبهام قدمه يضئ مرة ويطفأ أخرى .إذا كانت هذه حال نوره فى الدنيا فأعطى على الجسر بمقدار ذلك بل نفس نوره ظهر له عياناً . قال تعالى ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ﴾ " الحديد ١٢ " ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ إن من عباد الله عباداً ليسوا بأنبياء ولاشهداء يغبطهم

الأنبياء والشهداء قيل من هم لعلنا نحبهم ؟ قال : هم قوم تحابوا بنورالله من غير أرحام ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾

" النسائى وبن حبان فى صحيحه " فالله نور وكتابه نور ورسوله نور وأولياؤه نور وداره التى أعدها لهم نور ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾ فإذا جاء يوم القيامة للفصل بين عباده ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾ وليس إشراقها يومئذ بشمس ولا قمر فإن الشمس تكور والقمر يخسف ويذهب نورهما وحجابه النور قال أبو موسى : قام فينا رسول الله بخمس كلمات فقال : إن الله لا ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه . " مسلم وبن ماجة "

معنى الذكر والمقصود منه

قال تعالى ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ قال الواحدى : قال ابن عباس وسعيد بن جبير :أذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي وأرسل عبد الملك إلى سعيد بن جبير يسأله في بعض مسائل فقال في جوابها: وتسأل عن الذكر فالذكر طاعة الله فمن أطاع الله فقد ذكر الله ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن ، وتسأل عن قوله تعالى ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ فإن ذلك أن الله تعالى يقول (اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي) ويشهد لصحة هذا الحديث حديث خالد بن عمران قال : قال رسول الله ﷺ : من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن ومن عصى الله فقد نسى الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن وبمعناه حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه " الفتوحات الربانية جـ ١ صـ ١٤ "

وفي البخاري عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال : مثل الذي يذكر ربه والذي لايذكر ربه مثل الحي والميت . قال في فتح

الباري والمراد بالذكر هنا الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وما يتعلق بها من الحوقلة والبسملة والاستغفاروالحسبلة ونحو ذلك بالدعاء بخيري الدنيا والآخرة ويطلق ذكر الله ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن وكقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة وقال في آخر الكلام على حديث : إن لله ملائكة يطوفون في الطرق .. الحديث يؤخذ من مجموع الطرق أن المراد بمجالس الذكر الواردة من تسبيح وتكبير وغيرها وتلاوة كتاب الله والدعاء بخيري الدارين .

" الفتوحات الربانية جـ٣ صـ١١٣ " ثم الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق ولا يشترط استحضاره لمعناه ولكن يشترط ألا يقصد به غير معناه وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفى النقائص عنه ازداد كمالاً فإن صح التوجه والإخلاص فهو أبلغ الكمال . قال في الرسالة القشيرية : سئل أبو عثمان المغربي : نذكر الله ولا نجد في

قلوبنا حلاوة فقال : احمدوا الله عز وجل أن زين جارحة من جوارحكم بطاعته . **وقال بن عطاء الله فى الحكم** : لا تترك الذكر لعدم حضورك فيه مع الله لأن غفلتك عن ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز . **وقال الفخر الرازى** : المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد والذكر بالقلب والتفكر فى أدلة الذات والصفات وفى أدلة التكاليف من الأمر والنهى حتى يطلع على أحكامها وفى أسرار مخلوقات الله والذكر بالجوارح هو أن تصير مستغرقة فى الطاعات ومن ثم سمى الله الصلاة ذكراً فقال ﴿ فاسعوا الى ذكر الله ﴾ " **زاد المسلم جـ٣ صـ ٣٨٣** "

ويكفى فى فضل الذكر قول الله تعالى﴿ فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم ﴾ وقوله تعالى ﴿اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ **قال بن عباس فى الآيتين** : لم يفرض الله فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً ثم

عذر أهلها فى حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حداً ينتهى إليه ولم يعذر أحداً فى تركه إلا مغلوباً على عقله وأمرهم بها فى الأحوال كلها فقال ﴿ اذكرونى أذكركم ﴾

﴿ فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم ﴾ **وقال** ﴿ اذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾ **بالليل والنهار فى البر والبحر والصحة والسقم والسر والعلانية** . وقيل الذكر الكثير ألاّ تنساه أبداً . وأخرج الطبرانى والبيهقى عن معاذ أن رسول الله ﷺ قال : ليس يتحسر أهل الجنة على شئ إلا ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عزوجل فيها . **وعن عائشة** أن رسول الله ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه **" مسلم والترمذى وأبو داود وبن ماجة "** وفى المسند مرفوعاً: أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقال مجنون . **" الوابل الصيب صـ٦١ "** . وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله والله أكبر أحب إلىّ مما طلعت عليه الشمس . " مسلم "

قال الإمام النووي : أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدث والجنب والحائض والنفساء وذلك في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والصلاة على رسول الله ﷺ والدعاء وغير ذلك . ولكن قراءة القرآن حرام على الجنب والحائض والنفساء سواء قرأ قليلاً أو كثيراً حتى بعض آية ويجوز لهم إجراء القرآن على القلب من غير لفظ . " **الفتوحات الربانية جـ١ صـ ١٣٧** "

عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جُمْدَان فقال سيروا هذا جُمْدَان سبق المفرِّدون (بتشديد الراء المكسورة) قالوا وما المفردون يارسول الله ؟ قال : الذاكرون الله كثيراً والذاكرات . " مسلم "

هذا الجماد يشعر بذكر الله ويستبشر بمن مر عليه من أرباب العرفان كما ذكر **الطبراني عن بن مسعود** أن الجبل ينادي الجبل باسمه أي فلان هل مر بك أحد ذكر الله فإذا قال نعم استبشر ، وفي **عوارف المعارف عن أنس أنه قال :** ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادي بعضها بعضاً هل مر بك اليوم أحد صلى عليك أو ذكر؟ فمن قائلة نعم ومن قائلة لا .. فإذا قالت نعم علمت أن لها

بذلك فضلاً عليها وقوله سيروا أي سيراً حسناً مقروناً بذكر وحضور وشكر وسرور ، هذا جُمْدَان متحرك بالسيران وإن كنتم ترونه ساكناً كالحيران ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شئ إنه خبير بما تفعلون ﴾ **المفرّدون هم الذاكرون الله كثيراً** المستخلصون لعبادة الله المستغنون بذكره المولعون بفكره القائمون بوظيفة شكره المعتزلون عن غيره هجروا الخلان وتركوا الأوطان وقطعوا الأسباب ولازموا الباب وانفصلوا عن الشهوات وانفطموا عن اللذات لا لذة لهم إلا بذكره ولا نعمة لهم إلا بشكره إذ لا يصح مقام التفريد بعد تحقيق التوحيد إلا بهذه الأشياء قال تعالى﴿ وتبتل إليه تبتيلاً ﴾ أي انقطع إليه انقطاعاً كلياً . " **مرقاة المفاتيح جـ٥ صـ ٥٠** "

هذه النبذة يسيرة عن الحاجة إلى الذكر وفضائله والأمر به وكتبت على عجل للحاجة إليها وإلا فكتب الحديث مليئة به فما من كتاب إلا أفرد له باباً خاصاً بل هناك كتب مستقلة في فضائل الذكر وآدابه وشروطه يرجع إليها من أراد المزيد والله الموفق والمعين وهو حسبنا ونعم الوكيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين والنبيين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم أجمعين .

إن الإسلام دين يقوم على التعارف والتآلف ويعتمد فى تثبيت منهجه ونشره بين الناس على المودة والمحبة وينفر من كل ما يشتم منه قطع آصرة من هذه الأواصر : ويمتن على المؤمنين بقوله تعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ "آل عمران ١٠٣" من أجل ذلك ولغيره حرم الإسلام الجدال لما فيه من إيغار للصدور وتوهين للمجتمع وضعف لتماسكه وهدم لبنيانه وتقويض لدعائمه قال رسول الله ﷺ : من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن تركه وهو محق بنى له فى وسطها ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها .

وهناك أناس لا همّ لهم إلا الجدال ولا كلام لهم إلا فى الخلافيات وهم فى الحقيقة يدفعهم الشيطان ويحركهم الهوى .. ولو

أخلصت نفوسهم وتجردت نياتهم لما وصلوا إلى هذا المنحطف الخطير ولو حكموا سماحة الإسلام ويسره لما اختلفوا فى ذلك ومن هذه الخلافيات :

رفع الصوت فى القراءة و الجهر بالذكر

قال بن عباس فى قوله تعالى ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ : أنزلت ورسول الله متوارٍ بمكة . وكان إذا رفع صوته سمعه المشركون فسبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله عز وجل ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ أى بقراءتك حتى يسمعها المشركون ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن ... وفى رواية : وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة " **الجماعة إلا الموطأ وأبا داود** " .

عن البراء قال : سمعت النبى ﷺ يقرأ فى العشاء ﴿ والتين والزيتون ﴾ وما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه " **متفق عليه** " .

قال بن حجر ويوافقه حديث بن عساكر أنه عليه السلام قال : ما بعث الله نبياً قط إلا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم فبعثه حسن الوجه وحسن الصوت .. وجاء فى أحاديث أن صوته عليه السلام كان يبلغ ما لا يبلغ صوت غيره .. ففى حديث البيهقى أنه خطب فأسمع العواتق فى خدورهن .. وفى حديث أبو نعيم عن بن رواحة أنه كان فى بنى تميم فسمع قوله عليه السلام على المنبر يوم الجمعة اجلسوا فجلس مكانه .. وفى حديث بن ماجة أن أم هانئ كانت تسمع قراءته عليه السلام فى جوف الليل عند الكعبة وهى فى عريشها " مرقاة المفاتيح " جـ٣ صـ ٣٩٣ .

وعن عبد الله بن قيس قال : سألت عائشة : كيف كانت قراءة رسول الله بالليل ، أكان يُسِرّ بالقراءة أم يجهر ؟ فقالت : كل ذلك كان يفعل ربما أسر بالقراءة وربما جهر فقلت : الحمد لله الذى جعل فى الأمر سعة **(الترمذى وأبو داود والنسائى)**

عن بن عمر قال : سألت عائشة عن وتر رسول الله فقالت : ربما أوتر أول الليل وربما أوتر آخره قلت كيف كانت قراءته أكان يُسِرّ بالقرآن أم كان يجهر ؟ قالت كل ذلك كان يفعل ربما أسر

وربما جهر وربما اغتسل فنام وربما توضأ فنام : يعنى الجنابة **" أبو داود وغيره "**

وعن أبى قتادة أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر : متى توتر ؟ قال أوتر أول الليل .. وقال لعمر متى توتر ؟ قال : آخر الليل . فقال لأبى بكر أخذ هذا بالحذر وقال لعمر أخذ هذا بالقوة **" الموطأ وأبو داود "** ففعل رسول الله ﷺ كان دائماً وأبداً التيسير ورفع الحرج عن المسلمين ليأخذوا الأجر فى كل فعل جهراً وسراً علانية أو خفية .

بعض أدلة الجهر بالتلاوة

عن أبى بردة عن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ إنى لأعرف رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم بالقرآن من الليل وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار ومنهم حكيم إذا لقى الخيل أو قال العدو .. قال لهم إن أصحابى يأمرونكم أن تنتظروهم **(البخارى ومسلم عن أبى كريب عن أبى أمامة : شعب الإيمان للبيهقى) جـ٣ صـ ٥٣٥ .**

عن عبيد الله بن يزيد عن أبيه أن رسول الله ﷺ جاء إلى المسجد فوجدنى على باب المسجد فأخذ بيدى وأدخلنى المسجد فإذا رجل يصلى ويدعو ويقول : اللهم إنى أسالك بأنى أشهد ألا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . قال : فقام رسول الله ﷺ فقال : والذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذى إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب قال : وإذا رجل يقرأ فى جانب المسجد فقال : لقد أعطى هذا مزماراً من مزامير داود فقلت يارسول الله أخبره هذا ؟ قال نعم : فأخبرته قال :فلم يزل لى صديقاً وإذا هو أبو موسى الأشعرى وفى رواية عن أبى بردة عن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ : لو رأيتنى وأنا أسمع قراءتك البارحة لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود . فقال لو علمت لحبّرته لك تحبيراً (الصحيحين) وعن محمد بن إبراهيم التميمى قال : كان عبد الله بن مزينة ذو النجادين يتيماً فى حجر عمه وكان يعطيه وكان محسناً إليه . فبلغ عمه أنه قد تابع دين محمد ﷺ فقال له: لئن فعلت وتبعت محمداً لأنزعنّ منك كل شئ أعطيتك قال : فإنى مسلم فنزع منه كل شئ أعطاه حتى جرده من ثوبه فأتى

أمه فقطعت له نجاداً لها باثنين . فاتزر نصفاً ثم أصبح يصلى مع رسول الله ﷺ الصبح فلما صلى رسول الله أخذ يتصفح الناس بنظر من أناة وكذلك كان يفعل فرآه رسول الله فقال من أنت ؟ قال : أنا عبد العزى قال : بل أنت عبد الله ذو النجادين فالزم بابى فكان يلزم باب رسول الله وكان يرفع صوته بالقرآن والتكبير والتسبيح فقال عمر يارسول الله : مراءٍ قال : دعه عنك فإنه أحد الأوّاهين (شعب الإيمان للبيهقى) وعن بن عباس قال : كان النبى يصلى من الليل فيسمع قراءته من وراء الحجر وهو فى البيت (الشعب للبيهقى) وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ما أذن الله لشئ كإذنه لنبى يتغنى بالقرآن يجهر به (الشعب للبيهقى جـ٣ صـ ٥٣٧)

وفى كل ما تقدم دلالة واضحة على جواز الجهر بالتلاوة واستماع الناس إلى قارئ واجتماعهم عليه . والمانعون للجهر بالتلاوة إذا تأذى بها المصلون أو خيف عليه من الرياء فإن لم يخف عليه ولم يكن فى الجهر ما يشوش على مصلٍ آخر فالجهر أفضل .

((لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته أيضاً تتعلق بغيره فالخير المتعدى أفضل من اللازم ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه ولأنه يطرد النوم فى رفع الصوت ولأنه يزيد فى نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه ولأنه قد يراه بطّال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة فمتى حضره شئ من هذه النيات فالجهر أفضل وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار وتتضاعف أجورهم فإن كان فى العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشرة أجور)) "الإحياء" .

وقال صاحب القوت : فإذا كان العبد معتقداً لهذه النيات طالباً لها ومتقرباً إلى الله سبحانه بها عالماً بنفسه مصححاً لقصده ناظراً إلى مولاه الذى استعمله فيما يرضاه فجهره أفضل لأن له فيه أعمالاً وإنما يفضل العمل بكثرة النيات فيه وارتفع العلماء وفضلت أعمالهم بحسن معرفتهم بنيات العمل واعتقادهم لها فقد يكون فى العمل الواحد عشر نيات يعلم ذلك العلماء فيعملون بها

فيعطون عشر أجورهم فأفضل الناس فى العمل أكثرهم نية وأحسنهم قصداًوأدباً "

وإلى هذا جنح النووى حيث قال : الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام بجهره ، والجهر أفضل فى غير ذلك لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته تتأدى إلى السامعين ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم ويزيد فى النشاط وقال بعضهم : يستحب الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها لأن المسرّ قد يمل فيأنس بالجهر والجاهر قد يمل فيستريح بالإسرار .(اتحاف السادة المتقين بـ ٥ ص ٦٩)

عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسرّ بالقرآن كالمسر بالصدقة (الترمذى وأبوداود والنسائى) قال الطيبى (جاء آثار بفضيلة الجهر بالقرآن وآثار بفضيلة الإسرار به والجمع بأن يقال : الإسرار أفضل لمن يخاف الرياء .. والجهر أفضل لمن لا يخاف بشرط ألا يؤذى غيره من مصل أو نائم أو غيرهما وذلك لأن العمل فى الجهر يتعدى نفعه إلى غيره أى من استماع أو تعلم أو ذوق أو

كونه شعاراً للدين ولأنه يوقظ قلب الساهى ويجمع همه ويطرد النوم عنه وينشط غيره للعباده فمن حضره شئ من هذه النيات فالجهر أفضل) " مرقاة المفاتيح جـ٥ صـ١٠ " .

عن أبىّ بن كعب قال : كان رسول الله ﷺ إذا سلم فى الوتر قال "سبحان الملك القدوس " رواه أبو داود والنسائى وزاد ثلاث مرات يطيل ، وفى رواية للنسائى عن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه قال : كان يقول إذا سلم : سبحان الملك القدوس ثلاثاً ويرفع صوته بالثالثة .

قال بن حجر ورواه أحمد والدارقطنى أيضاً .. قال المظهر (هذا يدل على جواز الذكر برفع الصوت بل على الاستحباب إذا اجتنب الرياء إظهاراً للدين وتعليماً للسامعين وإيقاظاً لهم من رقدة الغفلة وإيصالاً لبركة الذكر إلى مقدار ما يبلغ الصوت إليه من الحيوان والشجر والحجر والمدر وطلباً لاقتداء الغير بالخير ويشهد له كل رطب ويابس سمع صوته ، وبعض المشايخ يرى إخفاء الذكر لأنه أبعد من الرياء وهذا متعلق بالنية .(مرقاة المفاتيح جـ٣ صـ١٧٣)

رفع الصوت بالذكر فى الدور

عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى منكم بالليل فليجهر بقراءته فإن الملائكة تصلى بصلاته وتسمع لقراءته وإن مؤمن الجن الذين يكونون فى الهواء وجيرانه معه فى مسكنه يصلون لصلاته ويستمعون لقراءته وإنه ينطرد بجهره بقراءته عن داره وعن الدور التى حوله فساق الجن ومردة الشياطين (البزار)

رفع الصوت فى المسجد والاجتماع عليه

أخرج الطبرانى والحاكم والبيهقى والبزار بإسناد حسن وأورده النسائى وبن حبان : أن علياً سأل النبى ﷺ بقوله : يارسول الله دلنى على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها على عباده وأفضلها عنده تعالى فقال النبى ﷺ :عليك بمداومة ذكر الله سراً وجهراً فقال على كل الناس ذاكرون فخصنى بشئ قال رسول الله : أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله ولو أن

السموات والأرضين فى كفة ولا إلـه إلا اللـه فـى كفـة لرجحت بهم ولا تقوم القيامة وعلى الأرض من يقـول (لا إلـه إلا اللـه) ثم قال علىّ فكيف أذكر ؟ قال النبـى ﷺ غمّض عينيك واسمع منى : لا إله إلا الله .. ثلاث مرات ثم قلها ثلاثاً وأنـا أسمع ثم فعل ذلك برفع الصوت . وهذا دليل على رفع الصوت بالذكر كمـا أنه دليل على تلقين ذكر الله تعالى كما فيه دليل على الحركة فى الذكر وهناك دليل آخـر أورده الحـافظ أبـو نعيم فـى الحليـة عن علىّ رضى الله عنه يدل على الحركة فى الذكر .

عن أبـو أواكة قال : صلى علىّ كرم الله وجهه الغداة ثم لبث فـى مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح كأن عليه كآبة ثم قـال : لقد رأيت أثراً من أصحـاب رسـول اللـه ﷺ فمـا رأيت أحـداً يشبههم والله إن كانوا ليصبحون شعثاً غبراً بين أعينهم مثل ركب المعزى - باتوا يتلـون كتـاب اللـه يراوحـون بين أقدامهم وجباههم إذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة فـى يـوم الريـح فاتهملت أعينهم حتى تبل واللـه ثيـابهم واللـه لكـأن القـوم بـاتوا غافلين . وهناك دليل آخر أورده **الإمام أحمد ومجمع الزوائد وبـن قيم فى الوابل الصيب .**

قال شداد بن أوس كنا عند النبى فقال هل فيكم غريب ؟ يعنى من أهل الكتاب قلنا لا يا رسول الله فأمر بغلق الباب وقال : ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله فرفعنا أيدينـا وقلنـا لا إلـه إلا اللـه ثم قال الحمد للـه اللهم إنـك بعثتنـى بهذه الكلمـة وأمرتنـى بهـا ووعدتنـى عليهـا الجنـة إنـك لا تخلـف الميعـاد . ثـم قـال ﷺ ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم .

فهذا دليل على رفع الصوت بـالذكر فـى المسـجد كمـا فيـه دليل على الحركة فى الذكر وفيه كذلك دليل واضح على الاجتمـاع على الذكر .

أفضل الذكر ما كان فى جماعة

والذكر فى الجماعة أفضل لأنه أشد تاثيراً فـى رفـع الحجب فقد شبه الحق تعالى القلوب بالحجـارة ومعلـوم أن الحجر لا ينكسر إلا بقوة جماعة ، لأن قوتهم أشد من قـوة شـخص واحد ولأنـه من باب التعاون والتقوى والأهم من ذلك كلـه أن السنة تشـهد بهذا وتؤيده وتدعو إليه وتحث عليه .

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملئه (مسلم) .

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : إن الله عز وجل يقول " أنا مع عبدى إذا ذكرنى وتحركت بى شفتاه . " البخارى وبن ماجة وبن حبان فى صحيحه " .

عن أبى أمامة قال : رآنى النبى ﷺ وأنا أحرك شفتىّ فقال :بأى شئ تحرك شفتيك يا أباأمامة؟ فقلت : أذكر الله يا رسول الله فقال : ألا أخبرك بأكثر وأفضل من ذكرك بالليل والنهار ؟ قلت بلى يا رسول الله قال : تقول " سبحان الله عدد ما خلق سبحان الله ملء ما خلق سبحان الله عدد ما فى الأرض سبحان الله ملء ما فى الأرض والسماء سبحان الله عدد ما أحصى كتابه سبحان الله ملء ما أحصى كتابه سبحان الله عدد كل شئ سبحان الله ملء كل شئ الحمد لله عددما خلق والحمد لله ملء ما خلق والحمد لله عدد ما فى الأرض والسماء والحمد لله ملء ما فى الأرض والسماء والحمد لله عدد مأحصى كتابه والحمد لله ملء ما أحصى كتابه والحمد لله عدد كل شئ والحمد لله

ملء كل شئ . " أحمد والنسائى وبن حبان فى صحيحه وبن خزيمة فى صحيحه وقال الحاكم صحيح على شروط الشيخين " .

وأخرج الإمام أحمد عن ثابت قال : كان سلمان فى عصابة يذكرون الله تعالى فمر النبى ﷺ فكفوا فقال : إنى رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشرككم فيها ثم قال : الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرنى أن أصبر نفسى معه .

وأخرج مسلم والترمذى عن معاوية أن النبى ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده فقال : أتانى جبريل فأخبرنى أن الله يباهى بكم الملائكة .

الأمر بالذكر

قال ﷺ غنيمة مجالس الذكر الجنة قال العز بن عبد السلام هذا الحديث وأمثاله يلحق بدرجة الأمر لأن كل فعل مدحه الشارع أو مدح فاعله لأجله أو وعدعليه بخيرعاجل أو آجل فهومأمور به.

عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا

قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ما يقول عبادى ؟ قال : يقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك . قال : فيقول : هل رأونى ؟ قال : فيقولون : لا والله يارب قال : فيقول : كيف لو رأونى ؟... وفى آخره : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم (البخارى ومسلم) وهذا كله صريح الدلالة فى الاجتماع على الذكر وحلق الذكر ورفع الصوت بالذكر فى المساجد وغيرها.

الدعوة إلى حضور مجالس الذكر

عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر.... **(الترمذى والحاكم والبيهقى)**

﴿ إذا مررتم بحلق الذكر فادخلوا فيها لتنالوا الأجر العظيم والفوز بجنات النعيم ففيه الحث على الذكر ومشاركة أهله فيه وإطلاق الذكر هنا يشمل كل ما يذكر بالله عز وجل من قراءة قرآن ومدارسة علم وتسبيح وتهليل ونحو ذلك **(الفتح الربانى جـ ١٤ صـ ٣٠٤)** ﴾

عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله عز وجل يوم القيامة سيعلم أهل الجمع ... " الخلائق المجتمعون يوم القيامة " من أهل الكرم فقيل ومن أهل الكرم يا رسول الله ؟ قال : مجالس الذكر فى المساجد **(أحمد وأبو يعلى والبيهقى وغيرهم)** .

وخص المساجد بالذكر لكونها محل العبادة ، والذكر من أفضل العبادات فهو فيها أفضل منه فى غيرها عن أبى هريرة وأبى سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده **(مسلم وغيره)** والأدلة فى هذا كثيرة نسأل الله أن يلهمنا الرشد والصواب وهو من وراء القصد .

الجهر بختم الصلاة

وهناك مسألة طال فيها الخلاف واتسع الجدال وربما وصل فى بعض الأمور إلى التشابك بالأيدى والتنابذ بالألقاب فى كثير من دور العبادة وهى ختم الصلاة بالصوت المرتفع مع أن النبى ﷺ كان يفعله هو وأصحابه وكانت أصواتهم ترتفع بالتهليل والتسبيح عقب الصلاة كما ورد فى الصحيحين . عن بن عباس قال : إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله ﷺ . وعنه قال : كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته(البخارى ومسلم وغيرهما) " فتح الباري جـ٢ صـ ٣٧٩ " .

عن عروة بن الزبير : كان يقول فى دبر كل صلاة حين يسلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير لا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون (مسلم) وقال : كان رسول الله

ﷺ يهلل بهن دبر كل صلاة ورواه أيضاً أبو داود والنسائى

(جامع الأصول جـ٥ صـ٤٨)